4 ـ اعتاب الكتاب

روى المقري فى أزهار الرياض [1] فى أخبار عياض قال :

« ورجع ابن الابار بأهله (من بلنسية) الى تونس ، غبطة باقبال السلطان عليه . فنزل منها بخير مكان ، ورشحه لكتب علامته فى صدور رسائله ومكتوباته ، فكتبها مدة .

ثم ان السلطان ـ أبا زكريا .. أراد صرفها لابى العباس الغساني لما كان يحسن كتابتها بالخط المشرقي ، وكان آثر عنده من الخط المغربي ، فسخط ابن الابار أنفة من ايثار غيره عليه ، وافتات على السلطان فى وضعها فى كتاب أمر بانشائه ـ لقصور الترسيل يومئذ فى الحضرة عليه ـ وأن يبقى مكان العلامة منه لواضعها . فجاهر بالرد ، ووضعها استبداداً وأنفة . وعوتب على

(1) صفحة 209 وما بعدها من الجزء الثالث. والواقع ان المقرى ينص على انه نقل هذا الخبر عن ابن خلدون من كتابه « ديوان العبر ، وكتاب المبتدأ والخبر ... »

ذلك ، فاستشاط غضبا ، ورمى بالقلم ، وانشد متمثلا :

اطلب العز فى لظى وذر الذ ل ولو كان فى جنان الخلود

فنمي ذلك الى السلطان . فامر بلزومه بيته .

ثم استعتب السلطان بتاليف رفعه اليه ، عد فيه من عوتب وأعتب . وسماه « اعتاب الكتاب » . واستشفع بابنه المستنصر بالله ، فغفر السلطان له ، وأقال عثرته ، وأعاده الى الكتابة » .

هكذا نجد السبب فى تاليف ابن الابار كتابه « اعتاب الكتاب » واضحا مسطورا فيما الف عنه من ترجمة . والحقيقة هى ان ابن الابار لا يؤلف كتابا لمجرد الرغبة فى التاليف ، ولكن لان ثمة حافزاً يدفع اليه ، وغرضا واضحا يرمى الى تحقيقه . واى غرض اسمى من أن يرضى عنه السلطان ، ولى نعمته ومؤويه فى غربته ؟ واى غرض اسمى من ان يمد له فى اسباب العيش ناعما ، هادىء البال ، فى حضرة سيد البلاد ، وقد أَلِف ابن الابار هذا النوع من الحياة ، وخدمة الملوك ؟ وهو قد احيط باعداء ومنافسين افسدوا علاقته بمولاه .

فلا غرابة اذاً ان نجد المؤلف يفتتح كتابه بالمقدمة التى

تنم عن غرضه . فهو يقول فى أولها :

« اما بعد حمد الله الذى يعفو عن السيئات ، والصلاة على محمد رسوله الخاص بسيادة كل ماض وآت ، الحاض على اغتفار الهنات واقالة العثرات لذوى الهيئات ، فهذه نبذة من اعتاب الكتاب ، وتشفيع الاداب ، تشهر كمالهم فى الاضطلاع والاكتفاء ، وتشهد بما لهم عند الامراء والخلفاء من كرم الاختصاص ولطيف الاحتفاء . وكيف لا يكونون كذلك وهم مقاول الدول والسنة الممالك . مفردهم فى الافصاح يعدل جمع الكفاح ، وقصبهم الضعيف يقاوى صم الرماح ، ويقاوم ذلق الصفاح . رب كتيبة فضها كتاب ، وخطب صدعه خطاب فانجاب . . . . . الخ » .

ثم يستمر ابن الابار فيذكر فضل مهنة الكتابة ، وان اربعة من الخلفاء زاولوا هذه المهنة هم : عثمان بن عفان ، وعلي بن ابى طالب ، ومعاوية بن ابى سفيان ، وعبد الملك بن مروان . ويتقدم فيدخل فى صميم المشكلة فيذكر : ان من الكتاب من اخطأ واستشفع فشُفِّع ، ومنهم من سُعِى به واستعتب فأعتب . ويذكر

ان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عن كاتبه ابن ابى سرح لما..

ويدخل فى صراحة الى حاله هو ويخاطب الامير ابا زكرياء بعد ذكره حادثة عفا فيها ابوجعفر المنصور وقبل الشفاعة ـ بقوله:

« ومولانا ـ ايد الله امره ـ اشجع طباعا ، وافسح فى الفضائل باعاً. ما زال يُشَرِّف احترامها واصطناعا، ويسرف احساناً يوسع احسابا واقناعا . وحق لمن عول على عدله المأمون ، وتوسل بفضله المضمون ، ثم بنجله المبارك الميمون ، ان يجتلى وجه القبول المأمول سافرا ، ويطمئن مقيما ما انزعج مسافرا فانما دعا للتوب قابلا، وللذنب غافرا . وسعى العود بالخلاص الدائب، من ظفر الحادث وناب النائب، ظافراً لازالت أهاضيب نواله دائمة السفوح والهتون ، واحاديث كماله صحيحة الاسانيد والمتون ودام ولي عهده ، وخلاصة مجده ، المهنأ بمعالى الامور ، والمهيأ لافتتاح المعمور وهده ونجده . نظام الدين والدنيا ، الامين، الاسعد، الاعلى، الاطهر الارضى ابو يحيى ، يقتفى مذاهبه ، ويصطفى مناقبه ، حتى يفرع

النجم جلالا جلياً ، ويرفع المـ.. [1] مكانا عليا. وهذا ابتداء المقصود وانجاز الموعود ».

وتلى هذه المقدمة تراجم الكتاب ومن كتبوا لهم ، ونوادر وحكايات عن كل كاتب ، وذكر لزلة صدرت من الكاتب وعفو من المكتوب له . ويذكر ابن الابار من هؤلاء الكتاب اربعة وسبعين لكل واحد منهم حادثة طريفة وملحة . وها هم أولاء :

1 ـ مروان بن الحكم ، كتب لعثمان بن عفان ، رضى الله عنه.

2 ـ زياد بن أبى سفيان ، كتب للمغيرة بن شعبة .

3 ـ يحيى بن يعمر ، كتب للمهلب بن ابى صفرة بخراسان .

4 ـ يزيد بن ابى مسلم ، تقلد للحجاج ديوان الرسائل .

5 ـ كاتب آخر للحجاج لا يعرف اسمه وما وقع له مع احدى الجوارى

6 ـ الابرش الكلبى ، كتب لهشام بن عبد الملك .

7 ـ سالم مولى هشام بن عبد الملك ، كان يتقلد له ديوان الرسائل.

8 ـ ابراهيم بن ابى عبلة ، احضره هشام وتقلد الخاتم لمروان .

9 ـ خالد بن برمك ، صار لابى العباس السفاح كاتبا ثم وزيرا.

---

(1) بقية الكلمة غير واضحة فى مصور المخطوط .

10 ـ كاتب للحسن بن زيد (لم يذكر اسمه) .

11 ـ أمية بن يزيد كاتب يوسف بن عبد الرحمن الفهرى .

12 ـ ابو عبد الله مولى الاشعريين ، كتب للمهدى قبل الخلافة فاستوزره .

13 ـ كاتب الهادى (لم يذكر اسمه) .

14 ـ يوسف بن الحجاج الصيقلى الكوفى ، اختص بالهادى الى ان توفى .

15 ـ أبان بن عبد الحميد اللاحقى ، كتب للفضل بن يحيى .

16 ـ عبد الله بن سوار بن ميمون ، كان يكتب ليحيى بن خالد

17 ـ حجر بن سليمان كتب ليحيى بن خالد.

18 ـ سهل بن ابراهيم ، كتب ليحيى بن خالد .

19 ـ كلثوم بن عمرو العتابى سمى به الرشيد .

20 ـ الفضل بن الربيع ، كتب للرشيد .

21 ـ اسماعيل بن صبيح ، كتب للرشيد وخص به .

22 ـ داود القيروانى ، كتب لمحمد بن مقاتل العكى .

23 ـ الحسن بن سهل ، كتب للمأمون .

24 ـ احمد بن ابى خالد، كتب للحسن بن سهل ثم وزر للمأمون .

25 ـ احمد بن يوسف ، وزر للمأمون بعد احمد بن ابى خالد .

26 ـ عمرو بن مسعدة ، كان اعلى الكتاب منزلة عند المأمون.

27 ـ علي بن الهيثم ، كتب للمأمون .

28 ـ صالح بن علي ، كان من وجوه الكتاب عند المأمون .

29 ـ علي بن عيسى القمى، ضمن للمأمون اعمال الضياع .

30 ـ عيسى بن عبد الرحمن كاتب طاهر بن الحسين .

31 ـ ميمون بن ابراهيم كاتب اسحاق بن ابراهيم المصعبى .

32 ـ ابو بكر بن سليمان الزهرى ، اراده للكتابة زيادة الله بن ابراهيم ابن الاغلب امير افريقية ، فاستعفى فلم يعفه ، فاشترط ثلاثة شروط الخ . . . . .

33 .. الفضل بن مروان ، كان فى ايام الرشيد على ديوان الخراج .

34 ـ محمد بن عبد الملك الزيات ، كتب للمعتصم ووزر له، ولابنه الواثق .

35 ـ سليمان بن وهب ، كان كاتب المأمون .

36 ـ ابراهيم بن رياح، كان على ديوان الضياع فعزله الواثق .

37 ـ إبراهيم بن العباس الصولى، ولى الاهواز فى ايام الواثق

38 ـ محمد بن الفضل الجرجانى ، كتب للفضل بن مروان ، ثم وزر المتوكل .

39 ـ عمرو بن بحر الجاحظ كتب لعبد الملك الزيات .

40 ـ احمد بن محمد بن المدبر ، كان لمحمد بن عبد الملك الزيات على الجيش.

41 ـ ابراهيم اخوه، كانت له حظوة عند المتوكل .

42 ـ ابو الجهم الكاتب ، كان من صنائع ابن الزيات .

43 ـ عبد الله بن محمد بن يزداد ، كتب للمأمون ووزر له .

44 ـ احمد بن محمد بن ثوابة ، خاف من المأمون لما اتهم به.

45 ـ الحسن بن رجاء ، نشأ فى خلافة المأمون ، وكان من جملة الكتاب .

46 ـ عيسى بن العباسى، كتب لابى الصقر فى وزارته للمعتمد .

47 ـ عبد الله بن محمد الزجالى ، كتب لعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم بن مسلم ابن عبد الرحمن بن معاوية

بن هشام بن عبد الملك بن مروان.

48 ـ عبد الله بن سليمان بن وهب ، كتب المعتضد ابى العباس احمد

49 ـ علي بن محمد بن العياض ، كتب المعتضد .

50 ـ علي بن محمد بن الفرات ، كتب للمعتضد .

51 ـ القاسم بن عبد الله ، كتب للمعتضد فى حياة أبيه .

52 ـ علي بن عيسى الجراح ، كتب للقاسم بن عبيد الله .

53 ـ ابو جعفر البغدادى ، لحق بالمهدى عبيد الله الشيعى فى تغلبه على افريقية .

54 ـ عيسى بن فطيس ، كتب لعبدالرحمن بن محمد الناصر امير الاندلس .

55 ـ احمد بن سعيدبن حزم ، استوزره المنصور محمد بن عبد الله بن ابى عامر .

56 ـ عبد الملك بن سعيد الجزرى ، كتب المنصور ابى عامر محمد بن عبد الله بن ابى عامر .

57 ـ عيسى بن سعيد القعناع ، اختلف الى الديوان فى دولة الحكم.

58 ـ خلف بن حسين بن حيان ، كان فى كتاب المنصور بن ابى عامر

59 ـ احمد بن على الحرحرانى ابو القاسم نكبه الحاكم صاحب مصر.

60 ـ محمد بن سعيد التاكرنى ابو عامر ، كان احد من كتب لعبد العزيز بن عبد الرحمن على بلنسية .

61 ـ ابو عامر احمد بن عبد الملك بن شهيد ، سمى به الى يحيى بن على بن حمود .

62 ـ ابو القاسم بن المغربى ، كتب الحاكم العبيدى .

63 ـ ابو الوليد بن زيدون ، كتب لعلقمة بن عبد الله بن احمد احد حكام قرطبة .

64 ـ محمود بن على بن ابى الرجال ، نكبه المعز بن باديس الصنهاجى

65 ـ ابو المطرف عبد الرحمن بن احمد بن المثنى ، كتب لعبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابى عامر صاحب بلنسية .

66 ـ عبد الملك بن غصن الحجازى ، نكبه المأمون بن ذى النون مع جماعة .

67 ـ ابو محمد بن عبد البر ، كتب للمعتضد بن محمد باشبيلية .

68 ـ ابو محمد بن سليمان بن القصرى ، نشأ فى دولة المعتضد .

69 ـ ابو بكر عيسى بن الوكيل اليابرى ، كان كاتبا بغرناطة ايام اللمتونيين.

70 ـ ابو جعفر احمد بن عطية كاتب عبد المومن بن علي ووزيره

71 ـ صفى الدين ، كاتب صلاح الدين يوسف بن ايوب .

72 ـ ابو عبد الله محمد بن عياش، شق عصا الطاعة على مخدومه الملقب بوشيد الموحدين .

73 ـ ابو عبد الله بن نخيل، كتب للملوك الحفصيين.

74 ـ ابو الربيع بن سالم (سليمان الكلاعى) كتب او الى بالمنسية

والكتاب ذخيرة أدبية قيمة ، يحتوى من الطرف والحكايات الادبية الممتع الجميل . وقد كان له أثره فى نفس السلطان ابى زكريا فعفا عن مؤلفه ، وأعاده لمكانته .

أما تاريخ تاليفه فمن الممكن تحديده من المناسبة ، فقد كانت وفاة الامير أبى زكريا عبد الواحد بن محمد بن ابى حفص سنة 647 (1249م) ، فلا بد ان يكون ابن الابار قد ألف كتابه قبل هذا التاريخ . وكانت هجرة ابن الابار الى تونس فى سنة 636 هـ فلا بد أن يكون الكتاب قد ألف بعد هذا التاريخ.

وما لم نعرف بالدقة سنة غضب الامير أبى زكريا على ابن الابار فاننا لانستطيع ان نعرف بالدقة والتحديد سنة تأليف الكتاب. وكل ما يمكن ذكره هو أن الكتاب الف بين سنتى 637 و 647 هـ.

والكتاب .. كغيره من مؤلفات ابن الابار - ينم عن سعة اطلاع مؤلفه، وصلته الادبية القوية بأمهات الكتب العربية وسهولة الافادة منها، وعلى قوة ذاكرته وحضورها. فتراه يقتبس من مراجع شتى ويشير الى حوادث غير مكتوبة وقعت فى الاندلس والمغرب فى يسر وثقة. وأسلوب الكتاب مع هذا ليس أسلوب ابن الابار الانشائى، لان الكتاب تصنيف وجمع وليس انشاء وابتكارا. ولذلك لا نستطيع الحكم على أسلوب ابن الابار بما كتب فيه.

والكتاب ما زال مخطوطاً، (1) ولكن يظهر أن ثمة نسخا مختلفة من هذا المخطوط، ففى مكتبة الاسكوريال (2) نسخة،

---

(1) تبين لى بعد كتابة هذا أن الاستاذ السيد صقر طبع جزءا منه بمصر سنة 1947 م نقلا عن مخطوط المكتبة التيمورية بالقاهرة.

(2) تفضل السيد الكريم عبد الله كنون فاعارنى صورة هذه النسخة. =

يقول عنها الاستاذ ليفى بروفنصال فى « فهرست (1) المخطوطات العربية بالاسكوريال»: « ان المخطوط معجم لكتاب أمراء الاندلس، يضم نماذج لانشائهم الشعرى» . وواضح ما فى هذا الوصف من مخالفة لحقيقة الكتاب. وهو يقول كذلك ان اوراق هذا المخطوط عددها ثمان وسبعون ورقة . فى كل ورقة واحد وعشرون سطرا ، ومساحة الصفحة الواحدة 21 سم × 14 سم .

وفى مكتبة الرباط نسخة اخرى من المخطوط ، يقول عنها الاستاذ ليفى بروفنصال ايضا فى « فهرست (2) المخطوطات العربية بالرباط» «انه يحتوى على تراجم لكتاب أمراء المسلمين وأعيانهم، ويوجد جزء من هذا المخطوط فى مكتبة الاسكوريال تحت رقم 1726 . . . وقد كتب فى 13 من ذى الحجة سنة 1264 الموافق 23 من نوفمبر سنة 1848. وعدد أوراقه 60 ورقة » . ثم يعطى الاستاذ اسماء الكتاب الذين تعرض لهم المؤلف .

= وهى التى اعتمدت عليها فيما كتبته هنا عن المؤلف .

(2) صفحة 243 من الجزء الثالث من Catallogue de Manuscrits Arabes de L' Escurial . والمخطوط تحت رقم 1731 . III . Vol

(2) Les Manuscrits Arabes de Rabat , Paris 1921 , No . 409. P. 149.

ومن مقارنة هذه الاسماء - كما وردت فى مخطوط الرباط - بالاسماء التى فى مخطوط الاسكوريال، نجد اسمين فقط فى المخطوط الثانى لم يردا فى الاول هما « حجر بن سليمان » و« عبد الملك بن سعيد الجزرى » . ولكن هذه الزيادة - زيادة ترجمتين - لا تبرر زيادة ثمانى عشرة صفحة فى مخطوط الاسكوريال . وخط نسخة الاسكوريال مغربى واضح منتظم جميل، الا فى بعض المواطن بأطراف الصفحات .

وفى المكتبة التيمورية بالقاهرة نسخة ثالثة من هذا المخطوط صفحاتها (1) مائة . وهى بهذا تخالف النسختين المذكورتين .

والكتاب جدير بالنشر لقيمته العلمية والادبية ، ولسهولة نشره من نسخ المخطوط التى فى خزائن الكتب، وهو أسهل نشرا من كتاب «الحلة السيراء» .

وقد استخرجت من مكتبة الأسكوريال صورة لصفحتين من صفحات المخطوط الذى بها، لنتبين من هذا المصور الحال التى عليها المخطوط، ومقدار صلاحيته للنشر .

(1) هكذا يقول جرجى زيدان فى صفحة 78 من الجزء الثالث من كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » .